الباب الخامس
التزام الخير
البر.. صنائع المعروف..
.. الدعاء.. الذكر

التزام الخير من الدين أيضًا؛ فإن الدين جاء به، وأمر به.

قال تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) ﴾ [الحج: ٧٧].

قال الإمام البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ في "تفسيره":

﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ ﴾ : وتحروا ما هو خير وأصلح، فيما تأتون وتذرون، كنوافل الطاعات، وصلة الأرحام، ومكارم الأخلاق.

﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ : أي افعلوا هذه كلها وأنتم راجون الفلاح، غير متيقنين له، واثقين على أعمالكم". اهـ.

وقال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٠) ﴾ [البقرة: ١١٠].

قال العلامة الشوكاني ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره:

"عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ ﴾ . يعني من الأعمال من الخير في الدنيا.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن أبي العالية في قوله: ﴿ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ﴾ قال: تجدوا ثوابه". اهـ.

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٣٠) ﴾ .

[آل عمران: ٣٠].

قال الإمام البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ في "تفسيره":

"أي تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف أعمالها، أو جزاء أعمالها، من الخير والشر حاضرة، لو أن بينها وبين ذلك اليوم، وهو له أمداً بعيداً". اهـ.

وقال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ ﴾[الزلزلة: ٧].

قال الإمام الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ في "تفسيره":

"فمن عمل في الدنيا وزن ذرة من خير، يرى ثوابه هنالك". اهـ.

والخير المندوب إلى الالتزام به أنواع، نذكر منه:

البـــــر:

والبر جماع الخير، وهو على رأسه.

وقد أمر الله تعالى به، فقال تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [المائدة: ٢].

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره:

"وقوله تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾: يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات، وهو البر، وترك المنكرات، وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل والتعاون على المآثم والمحارم.

قال ابن جرير: الإثم ترك ما أمر الله بفعله، والعدوان مجاوزة ما حد الله في دينكم، ومجاوزة ما فرض الله عليكم في أنفسكم وفي غيركم". اهـ.

قال الإمام الماوردي ـ رحمه الله تعالى ـ في "أدب الدنيا والدين":

"ندب الله تعالى إلى التعاون به ـ أي بالبر ـ وقرنه بالتقوى، فقال تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ** ﴾: لأن له في التقوى رضا الله تعالى، وفي البر رضا الناس،ومن جمع بين رضا الله تعالى، ورضا الناس: فقد تمت سعادته، وعمَّت نعمته". اهـ.

وأيضًا فقد بين الله تعالى حقيقته، فقال تعالى:

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧) ﴾ [البقرة: ١٧٧].

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - في تفسيره:

"اشتملت هذه الآية على جمل عظيمة، وقواعد عميمة، وعقيدة مستقيمة...

وأما الكلام على تفسير هذه الآية: فإن الله تعالى لما أمر المؤمنين أولاً بالتوجه إلى بيت المقدس، ثم حولهم إلى الكعبة، شق ذلك على نفوس طائفة من أهل الكتاب وبعض المسلمين، فأنزل الله تعالى بيان حكمته في ذلك، وهو أن المراد: إنما هو طاعة الله عز وجل، وامتثال أوامره، والتوجه حيثما وجه، واتباع ما شرع، فهذا هو البر والتقوي والإيمان الكامل، وليس في لزوم التوجه إلى جهة من المشرق أو المغرب بر ولا طاعة، إن لم يكن عن أمر الله وشرعه، ولهذا قال: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ الآية. كما قال في الأضاحي والهدايا: ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ ﴾ [الحج: ٣٧].

وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: ليس البر أن تصلوا ولا تعملوا، فهذا حين تحول من مكة إلى المدينة ونزلت الفرائض والحدود، فأمر الله بالفرائض والعمل بها. وروي عن الضحاك ومقاتل نحو ذلك.

وقال أبو العالية: كانت اليهود تُقْبِلُ قِبَلَ المغرب، وكانت النصارى تُقْبِلُ قِبَلَ المشرق، فقال الله تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ يقول: هذا كلام الإيمان، وحقيقته العمل. وروي عن الحسن والربيع بن أنس مثله.

وقال مجاهد: ولكن البر ما ثبت في القلوب من طاعة الله عز وجل.

وقال الضحاك: ولكن البر والتقوى: أن تؤدوا الفرائض على وجوهها.

وقال الثوري: ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ الآية. قال: هذه أنواع البر كلها.

وصدق رحمه الله؛ فإن من اتصف بهذه الآية؛ فقد دخل في عُرَى الإسلام كلها، وأخذ بمجامع الخير كله، وهو: الإيمان بالله، وأنه لا إله إلا هو، وصدق بوجود الملائكة الذين هم سفرة بين الله ورسله" . اهـ.

فالبر: كلمة جامعة لكل أنواع الخير، والتي بينتها هذه الآية، كما بينتها أدلة الشرع المتضافرة، فمن أنواع البر إذًا:

- هو: الإيمان بعامة أركانه.. والتوحيد بكافة أقسامه.. والفرائض باختلاف وجوهها.
- وهو: الطاعات جميعًا.. والأخلاق كلها.. والآداب.. والسلوك.. وكل ما يحبه الله تعالى ويرضى، هو من البر.

ولنستعرض بعضًا من وجوه البر، والتي لابد من الالتزام بها في اليوم والليلة، أما ما يختص بالاعتقاد، والإيمان، والتوحيد، والفرائض، والنوافل.. وغير ذلك فقد مر.

وأما ما يختص بالاجتماع بالْخَلْقِ، فنذكر منه:

بـــر الوالديـــن:

وهذا البر، وهذا الحق، هو آكد أنواع البر فيما بين الناس وبين بعضهم؛ إذ أن الله تعالى قد افترضه فرضًا، وجعله رِدْفَ عبادته، فقال تعالى: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣)** ﴾ [الإسراء: ٢٣].

قال العلامة الشوكاني ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره:

﴿ وقضى ربك ﴾: أي أمر أمرًا جزمًا، وحكمًا قطعًا، وحتمًا مبرمًا:

﴿ ألاَّ تعبدوا ﴾: أي وصَّى عبادَهُ بعبادته وحده، ثم أردفه بالأمر ببر الوالدين فقال: ﴿ وبالوالدين إحسانًا ﴾: أي وقضى بأن تحسنوا بالوالدين إحسانًا، أو: وأحسنوا بهما إحسانًا.

قيل: ووجه ذكر الإحسان إلى الوالدين بعد عبادة الله سبحانه: أنهما السبب الظاهر في وجود المتولد بينهما، وفي جعل الإحسان إلى الأبوين قرينًا لتوحيد الله وعبادته من الإعلان بتأكد حقهما، والعناية بشأنهما ما لا يخفى، وهكذا جعل سبحانه في آية أخرى شكرهما مقترنًا بشكره فقال: ﴿ أن اشكُرْ لي ولوالديْكَ ﴾ [لقمان : ١٤] ، ثم خص سبحانه حالة الكبر بالذكر؛ لكونها إلى البر من الولد أحوج من غيرها فقال: ﴿ إمَّا يبلُغنَّ عندكَ الكِبرَ أحدُهُما أوْ كلاهُما ﴾ إما مركبة من إن الشرطية وما الإبهامية؛ لتأكيد معنى الشرط، ثم أدخلت نون التوكيد في الفعل لزيادة التقرير، كأنه قيل: إن هذا الشرط مما سيقع ألبتة عادة...

ومعنى ﴿ فلا تقُل لَهُما أُفٍّ ﴾: لا تقل لواحد منهما في حالتي الاجتماع والانفراد، وليس المراد حالة الاجتماع فقط.. وقال الأصمعي: الأف وسخ الأذن، والثف وسخ الأظفار، يقال ذلك عند استقذار الشيء، ثم كثر حتى استعملوه في كل ما يتأذون به. وروى ثعلب عن ابن الأعرابي: أن الأفف الضجر.

والحاصل: أنه اسم فعل ينبئ عن التضجر والاستثقال، أو صوت ينبئ عن ذلك، فنهي الولد عن أن يظهر منه ما يدل على التضجر من أبويه، أو الاستثقال لهما، وبهذا النهي يفهم النهي عن سائر ما يؤذيهما بفحوى الخطاب أو بلحنه، كما هو متقرر في الأصول.

﴿ ولا تنهرْهُما ﴾. النَّهر: الزَّجر والغلظة، يقال نَهَرَه وانتهرَهُ: إذا استقبله بكلام

يزجره. قال الزجاج: معناه لا تكلمهما ضجراً صائحاً في وجوههما.

﴿ وَقُل لَّهُمَا ﴾ بدل التأفيف والنهر ﴿ قَوْلاً كَرِيمًا ﴾ أي ليناً لطيفاً أحسن ما يمكن التعبير عنه، من لطف القول وكرامته، مع التأدب والحياء والاحتشام". اهـ.

وقد بينت السُّنَّة عظَم حقهما، وحرمة عقوقهما.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ الْكَبَائِرِ؟ قَالَ: "**الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ**". متفق عليه.

وعَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ**". متفق عليه.

قال السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ في "تنبيه الغافلين":

"ويُقال: للوالدين على الولد عشرة حقوق:

أحدها: أنه إذا احتاج إلى الطعام أطعمه.

والثاني: أنه إذا احتاج إلى الكسوة كساه؛ إن قدر عليه..

والثالث: أنه إذا احتاج أحدهما إلى خدمته خدَمَه.

والرابع: إذا دعاه أجابه وحضره.

والخامس: إذا أمره بأمر أطاعه، ما لم يأمر بالمعصية، والغيبة.

والسادس: أن يتكلم معه باللين، ولا يتكلم معه بالكلام الغليظ.

والسابع: أن لا يدعوه باسمه.

والثامن: أن يمشي خلفه.

والتاسع: أن يرضى له ما يرضى لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه.

والعاشر: أن يدعو له بالمغفرة كلما يدعو لنفسه؛ قال الله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴾ [نوح: ٢٨].

وهكذا قال عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٤١) ﴾ [إبراهيم : ٤٠ - ٤١] . يعني : يوم القيامة .

وروي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال : ترك الدعاء للوالدين يضيق العيش عن الولد .

وهل يمكنه أن يرضيهما بعد وفاتهما ؟ قيل له : بلى ، يرضيهما بثلاثة أشياء :

أولها :أن يكون الولد صالحًا في نفسه؛لأنه لا يكون شيء أحب إليهما من صلاحه .

والثاني : أن يصل قرابتهما ، وأصدقاءهما .

والثالث : أن يستغفر لهما ، ويدعو لهما ، ويتصدق عنهما" . اهـ.

بر الأقارب والرحم :

وهذا من أهم ما ينبغي القيام به ، فهو في المرتبة الثانية ، أي بعد مرتبة بر الوالدين ، ولقد عَظَّمَ الله تعالى أمر الأرحام ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ النساء : ١] .

وقال تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد : ٢٢] .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - في تفسيره :

"وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عمومًا ، وعن قطع الأرحام خصوصًا ، بل وقد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام ، وهو الإحسان إلى الأقارب ، في المقال والأفعال وبذل الأموال ، وقد وردت الأحاديث الصحاح والحسان بذلك عن رسول الله ﷺ من طرق عديدة ووجوه كثيرة" . اهـ.

ومن هذه الأحاديث:

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: "**خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتْ الرَّحِمُ، فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ؛ فَقَالَ لَهُ: مَهْ. قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذ بِكَ مِنْ الْقَطِيعَةِ. قَالَ: أَلا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ. قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَذَاكِ**".

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**﴾. متفق عليه.

وعَنْ الزُّهْرِيِّ، أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "**لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ**". متفق عليه.

وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: "**إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنْ الرَّحْمَنِ. فَقَالَ اللَّهُ: مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ**". متفق عليه.

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ**". متفق عليه.

فالحذار الحذار من قطع الأرحام؛ فإن شأنها في الإسلام عظيم، وقدرها جليل، وفي وصلها خير كثير:

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: "**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**". متفق عليه.

فجعل صلة الرحم من الإيمان بالله تعالى، واليوم الآخر.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ: فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**". متفق عليه.

فجعل صلة الرحم من أسباب توسعة وكثرة الرزق، وطول العمر.

قال السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ في "تنبيه الغافلين":

"إذا كان الرجل عند قرابته، ولم يكن غائبًا عنهم، فالواجب عليه:

أن يصلهم بالهدية وبالزيارة.. فإن لم يقدر على الصلة بالمال فليصلهم بالزيارة، والإعانة في أعمالهم إن احتاجوا.

وإن كان غائبًا: يصلهم بالكتاب إليهم ،فإن قدر على المسير إليهم كان المسير أفضل.

واعلم بأن في صلة الرحم عشر خصال محمودة:

أولها: أن فيها رضا الله تعالى؛ لأنه أمر بصلة الرحم.

والثاني: إدخال السرور عليهم، وقد روي في الخبر: "إن أفضل الأعمال: إدخال السرور على المؤمن".

والثالث: أن فيها فرح الملائكة؛ لأنهم يفرحون بصلة الرحم.

والرابع: أن فيها حُسْن الثناء من المسلمين عليه.

والخامس: أن فيها إدخال الغم على إبليس عليه اللعنة.

والسادس: زيادة في العمر.

والسابع: بركة في الرزق.

والثامن: سرور الأموات؛ لأن الآباء والأجداد يسرون بصلة الرحم والقرابة.

والتاسع: زيادة في المودة؛ لأنه إذا وقع له سبب من السرور والحزن، يجتمعون إليه، ويعينونه على ذلك؛ فيكون له زيادة في المودة.

والعاشر: زيادة الأجر بعد موته ؛ لأنهم يدعون له بعد موته كلما ذكروا إحسانه". اهـ.

بر الجيران:

وهذا البر من آكد الأنواع، فلا ينبغي أن يُهمل، أو يُستهان به؛ فلقد عَظَّمَ الشرعُ

الحنيف قدرَ الجار، وعظم حرمته.

قال تعالى: ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦)** ﴾ [النساء: ٣٦].

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره:

"يأمر تبارك وتعالى بعبادته وحده لا شريك له؛ فإنه هو الخالق، الرازق، المنعم، المتفضل على خلقه في جميع الأنات والحالات؛ فهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئًا من مخلوقاته، كما قال النَّبي ﷺ لمعاذ بن جبل: "**أتدري ما حق الله على العباد؟**". قال: الله ورسوله أعلم. قال: "**أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**". ثم قال: أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ أن لا يعذبهم".

ثم أوصى بالإحسان إلى الوالدين؛ فإن الله سبحانه جعلهما سببًا لخروجك من العدم إلى الوجود، وكثيراً ما يقرن الله سبحانه بين عبادته والإحسان إلى الوالدين، كقوله: ﴿ **أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ** ﴾ [لقمان: ١٤]. وكقوله: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾ [الإسراء: ٢٣].

ثم عطف على الإحسان إليهما، الإحسان إلى القرابات من الرجال والنساء، كما جاء في الحديث: "**الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم صدقة وصلة**".

ثم قال تعالى: ﴿ **وَالْيَتَامَىٰ** ﴾: وذلك لأنهم فقدوا من يقوم بمصالحهم، ومن ينفق عليهم؛ فأمر الله بالإحسان إليهم، والحنو عليهم.

ثم قال: ﴿ **وَالْمَسَاكِينِ** ﴾: وهم المحاويج من ذوي الحاجات، الذين لا يجدون ما يقوم بكفايتهم، فأمر الله سبحانه بمساعدتهم، بما تتم به كفايتهم، وتزول به ضرورتهم.

وقوله: ﴿ **وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ** ﴾: قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿ **وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ** ﴾: يعني الذي بينك وبينه قرابة.

﴿ وَالْجَارِ الْجُنُبِ ﴾ : الذي ليس بينك وبينه قرابة. وكذا روي عن عكرمة ومجاهد وميمون بن مهران والضحاك وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان وقتادة. وقال أبو إسحاق عن نوف البكالي في قوله: ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ : يعني الجار المسلم، ﴿ وَالْجَارِ الْجُنُبِ ﴾ : يعني اليهودي و النصراني. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم. وقال جابر الجعفي عن الشعبي عن علي وابن مسعود: ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ : يعني المرأة. وقال مجاهد أيضاً في قوله: ﴿ وَالْجَارِ الْجُنُبِ ﴾ : يعني الرفيق في السفر". اهـ.

وقال الإمام القرطبي - رحمه الله تعالى - في تفسيره:

"أما الجار: فقد أمر الله تعالى بحفظه، والقيام بحقه، والوصاة برعي ذمته في كتابه، وعلى لسان نبيه. ألا تراه سبحانه أكد ذكره بعد الوالدين والأقربين، فقال تعالى: ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ : أي القريب. ﴿ وَالْجَارِ الْجُنُبِ ﴾ : أي الغريب. قاله ابن عباس وكذلك هو في اللغة، ومنه فلان أجنبي...

وقال نوف الشامي: ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ . المسلم ﴿ وَالْجَارِ الْجُنُبِ ﴾ : اليهودي والنصراني.

قلت: وعلى هذا: فالوصاة بالجار مأمور بها، مندوب إليها، مسلماً كان أو كافراً، وهو الصحيح ، والإحسان قد يكون بمعنى المواساة، وقد يكون بمعنى حُسْن العشرة، وكف الأذى، والمحاماة دونه".

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها عن النَّبي ﷺ قال: "**ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه**". وروي عن أبي شريح أن النَّبي ﷺ قال: "**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**". قيل: يا رسول الله ، ومن؟ قال: "**الذي لا يأمَنُ جارة بوائقه**". وهذا عام في كل جار. وقد أكد عليه السلام ترك إذايته بقسمه ثلاث مرات، وأنه لا يؤمن الإيمان الكامل من آذى جاره، فينبغي للمؤمن أن يحذر أذى جاره، وينتهي عما نهى الله ورسوله عنه، ويرغب فيما رضياه، وحَضَّا العباد عليه.

ومن إكرام الجار: ما رواه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**يا أبا ذر، إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها؛ وتعاهد جيرانك**". فحض عليه السلام على مكارم الأخلاق؛ لما يترتب عليها من المحبة، وحسن العشرة، ودفع الحاجة والمفسدة؛ فإن الجار قد يتأذى بقتار قدر جاره، وربما تكون له ذرية فتهيج من ضعائفهم الشهوة، ويعظم على القائم عليه الألم والكلفة، لا سيما إن كان القائم ضعيفًا أو أرملة فتعظم المشقة، ويشتد منهم الألم والحسرة.

من إكرام الجار: ألا يمنع من غرز خشبه له، إرفاقًا به. قال رسول الله ﷺ: "**لا يمنع أحدكم جاره أن يغرز خشبه في داره**". اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في "فتح الباري":

"قوله: (**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**): أي يأمر عن الله بتوريث الجار من جاره. واختُلف في المراد بهذا التوريث. فقيل: يجعل له مشاركة في المال، بفرض سهم معطاه مع الأقارب. وقيل: المراد أن ينزل منزلة من يرث بالبر والصلة. والأول أظهر؛ فإن الثاني استمر، والخبر مُشعر بأن التوريث لم يقع. ويؤيده ما أخرجه البخاري من حديث جابر نحو حديث الباب، بلفظ "**حتى ظننت أنه يجعل له ميراثا**".

وقال ابن أبي جمرة: الميراث على قسمين: حسي ومعنوي. فالحسي: هو المراد هنا. والمعنوي: ميراث العلم. ويمكن أن يلحظ هنا أيضًا؛ فإن حق الجار على الجار أن يعلمه ما يحتاج إليه والله أعلم.

واسم الجار يشمل: المسلم، والكافر، والعابد، والفاسق، والصديق، والعدو، والغريب، والبلدي، والنافع، والضار، والقريب، والأجنبي، والأقرب داراً والأبعد.

وله مراتب بعضها أعلى من بعض، فأعلاها: من اجتمعت فيه الصفات الأولى كلها، ثم أكثرها، وهلم جرا إلى الواحد. وعكسه من اجتمعت فيه الصفات الأخرى

كذلك، فيعطي كل حقه بحسب حاله، وقد تتعارض صفتان فأكثر، فيرجح أو يساوي. وقد حمله عبد الله بن عمرو أحد من روى الحديث على العموم، فأمر لما ذُبحت له شاة أن يهدى منها لجاره اليهودي. أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" والترمذي وحسنه.

وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: حفظ الجار من كمال الإيمان، وكان أهل الجاهلية يحافظون عليه. ويحصل امتثال الوصية به: بإيصال ضروب الإحسان إليه بحسب الطاقة، كالهدية، والسلام، وطلاقة الوجه عند لقائه، وتفَقُّد حاله، ومعاونته فيما يحتاج إليه.. إلى غير ذلك. وكف أسباب الأذى عنه، على اختلاف أنواعها، حسية كانت أو معنوية. وقد نفى ﷺ الإيمان عمن لم يأمن جاره بوائقه، وهي مبالغة تنبئ عن تعظيم حق الجار، وأن إضراره من الكبائر.

قال: ويفترق الحال في ذلك بالنسبة للجار الصالح وغير الصالح.

والذي يشمل الجميع إرادة الخير له. وموعظته بالحسنى، والدعاء له بالهداية، وترك الإضرار له، إلا في الموضع الذي يجب فيه الإضرار له بالقول والفعل، والذي يخص الصالح هو جميع ما تقدم، وغير الصالح: كفه عن الذي يرتكبه بالحسنى، على حسب مراتب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ويعظ الكافر بعرض الإسلام عليه، ويبين محاسنه والترغيب فيه برفق، ويعظ الفاسق بما يناسبه بالرفق أيضًا، ويستر عليه زَلَله عن غيره، وينهاه برفق، فإن أفاد فبه، وإلا فيهجره قاصداً تأديبه على ذلك، مع إعلامه بالسبب ليَكُفَّ". اهـ.

قال ابن قدامة المقدسي - رحمه الله تعالى - في "مختصر منهاج القاصدين":

"وأما حقوق الجار: فاعلم أن الجوار يقتضى حقًّا وراء ما تقتضيه أخوة الإسلام، فيستحق ما يستحقه كل مسلم وزيادة...

واعلم: أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط، بل احتمال الأذى، والرفق، وابتداء الخير، وأن يبدأ جاره بالسلام، ولا يطيل معه الكلام، ويعوده في المرض، ويعزيه في

المصيبة، ويهنئه في الفرح، ويصفح عن زلاته، ولا يطلع إلى داره، ولا يضايقه في وضع الخشب على جداره، ولا في صب الماء في ميزابه، ولا في طرح التراب في فنائه، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، ويستر ما ينكشف من عوراته، ولا يتسمع عليه كلامه، ويغض طرفه عن حرمه، ويلاحظ حوائج أهله إذا غاب " . اهـ.

وقال السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ في "تنبيه الغافلين":

"ينبغي للمسلم أن يصبر على أذى الجار، ولا يؤذي جاره، ويكون بحال يكون جاره آمنًا منه، وأمانه لجاره يكون بثلاثة أشياء: باليد . . وباللسان . . وبالعورة .

■ **فأما أمانه بلسانه:** فهو أن لا يتكلم بكلام، لو دخل عليه جاره لسكت . . أو لو بلغ إلى جاره لاستحيى منه .

■ **وأما أمانه بيده:** فهو أن جاره لو كان بالسوق، وتذكر أن كيسه نَسِيهُ في منزله، فإنه لا يخاف عليه، ويقول: منزله ومنزلي سواء .

■ **وأما أمانه بالعورة:** فهو أنه لو كان في السفر، فبلغه أن جاره دخل منزله، لسكن قلبه، وفرح" (١) . اهـ.

وقال أيضًا: "تمام حُسن الجوار في أربعة أشياء:

أولهـــا: أن يواسيه بما عنده . **والثاني**: أن لا يطمع فيما عنده .

والثالث: أن يمنع أذاه عنه . **والرابـع**: أن يصبر على أذاه" . اهـ.

بـــر الإخـــوان والأصدقـــاء:

فإنه لا يخلو ولا ينفك من الاجتماع بأخوانه وأصدقائه، فليجعل اجتماعه بهم اجتماع بر، فبرهم مما يزيد في مودتهم، ويوثق عُرى إخوتهم ، وبرهم يكون: بحبهم في الله تعالى . . وبزياراتهم . . وبصلتهم .

(١) مبالغة في حُسن خُلقه وتعففه ، وإلا فلا يجوز دخول البيوت وأربابها غائبون عنها .

وقد عَقَدَ الله تعالى بين المؤمنين الأُخُوَّة، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾. [الحجرات: ١٠].

فكفى بها من تقرير من رب العالمين عز وجل.

قال الإمام القرطبي - رحمه الله تعالى - في تفسيره:

"قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾: أي في الدين والحُرمة، لا في النَّسَب، ولهذا قيل: أُخوة الدين أثبت من أخوة النسب؛ فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب". اهـ.

وقال العلامة الشوكاني - رحمه الله تعالى - في تفسيره:

"**والمعنى**: أنهم راجعون إلى أصل واحد، وهو الإيمان. قال الزجاج: الدين يجمعهم، فهم إخوة إذا كانوا متفقين في دينهم، فرجعوا بالاتفاق في الدين إلى أصل النسب؛ لأنهم لآدم وحواء". اهـ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ؛ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ؛ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**". متفق عليه[واللفظ للبخاري].

قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى - في "شرح صحيح مسلم":

"قوله ﷺ: (**ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه**). معناه: اجتمعا على حب الله، وافترقا على حب الله، أي كان سبب اجتماعهما حب الله، واستمرا على ذلك حتى تفرقا من مجلسهما، وهما صادقان في حب كل واحد منهما صاحبه لله تعالى حال اجتماعهما وافتراقهما. وفي هذا الحديث: الحث على التحاب في الله، وبيان عظم فضله، وهو من المهمات؛ فإن الحب في الله والبغض في الله من الإيمان، وهو

بحمد الله كثير، يوفق له أكثر الناس أو من وفق له" . اهـ.

وعن عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَرْوِي عَنْ رَبِّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: "**حَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، يَغْبِطُهُمْ بِمَكَانِهِمْ النَّبِيُّونَ وَالصِّدِّيقُونَ**" (١) .

فالأخوة في الله تعالى، والصُّحبة في الله تعالى، والصداقة في الله تعالى شأنها عظيم، وإذا كان ذلك كذلك، فينبغي أن تُعلم حقوقها، ومن ثَمَّ يُعمل بها.

قال ابن قدامة المقدسي- رحمه الله تعالى -في "مختصر منهاج القاصدين" مبينًا هذا البر، وهذه الحقوق:

"الحق الأول: قضاء الحاجات، والقيام بها، وذلك درجات:

أدناها: القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة، لكن مع البشاشة والاستبشار.

وأوسطها: القيام بالحوائج من غير سؤال.

وأعلاها: تقديم حوائجه على حوائج النفس.

وقد كان بعض السلف يتفقد عيال أخيه بعد موته أربعين سنة؛ فيقضي حوائجهم.

الحق الثاني: على اللسان: بالسكوت تارة، وبالنطق أخرى:

أما السكوت: فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه في حضوره وغيبته، وعن الرد عليه ومماراته ومناقشته، وعن السؤال عما يكره ظهوره من أحواله. ولا يسأله إذا لقيه: إلى أين؟، فربما لا يريد إعلامه بذلك، وأن يكتم سره ولو بعد القطيعة، ولا يقدح في أحبابه وأهله، ولا يبلغه قدح غيره فيه .

(١) حديث صحيح :أخرجه أحمد ، وانظر : « صحيح الجامع » .

الحق الثالث : وينبغي أن يسكت عن كل ما يكرهه :

إلا إذا وجب عليه النطق في أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، ولم يجد رخصة في السكوت، فإن مواجهته بذلك إحسان إليه في المعنى .

واعلم : أنك إن طلبت منزهًا عن كل عيب لم تجد، ومن غلبت محاسنه على مساويه فهو الغاية .

وقال ابن المبارك : المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب الزلات .

وقال الفضيل : الفُتُوَّة : الصفح عن زلات الإخوان . وينبغي أن تترك إساءة الظن بأخيك، وأن تحمل فعله على الحسن مهما أمكن، وقد قال النَّبي ﷺ : " **وإياكم والظن ؛ فإن الظن أكذب الحديث** " .

واعلم : أن سوء الظن يدعو إلى التجسس المنهي عنه، وأن ستر العيوب والتغافل عنها سيمة أهل الدين .

واعلم : أنه لا يكمل إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وأقل درجات الأخوة أن يعامل أخاه بما يحب أن يعامله به، ولا شك أنك تنتظر من أخيك أن يستر عورتك، وأن يسكت عن مساويك، فلو ظهر لك منه ضد ذلك اشتد عليك، فكيف تنتظر منه مالا تعزم عليه له ؟ .

الحق الرابع : على اللسان بالنطق :

فإن الأخوة كما تقتضي السكوت عن المكروه، تقتضي النطق بالمحبوب، بل هو أخص بالأخوة؛ لأن من قنع بالسكوت صحب أهل القبور، وإنما يراد الإخوان ليستفاد منهم، لا ليتخلص منهم، لأن السكوت معناه كف الأذى، فعليه أن يتودد إليه بلسانه، ويتفقده فى أحواله، ويسأل عما عرض له، ويظهر شغل قلبه بسببه، ويبدى

السرور بما يُسر به .

وفي الصحيح من رواية الترمذي: "**إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه**" . ومن ذلك أن يدعوه بأحب أسمائه إليه، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ثلاث يصفين لك ود أخيك : تُسلِّم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه .

ومن ذلك أن يثنى عليه بما يعرفه من محاسن أحواله، عند من يؤثر الثناء عنده، وكذلك الثناء على أولاده وأهله وأفعاله، حتى في خلقه وعقله وهيئته وخطه وتصنيفه، وجميع ما يفرح به من غير إفراط ولا كذب . وكذلك أن تشكره على صنيعه في حقك، وأن تَذُبَّ عنه في غيبته إذا قُصِدَ بسوء، فحق الأخوة التشمير في الحماية والنصرة . وفي الحديث الصحيح : "**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه**" . ومتى أهمل الذَّب عن عرضه، يكون قد أسلمه، ولك في ذلك معياران :

أحدهما: أن تقدر أن الذى قيل فيه، قد قيل فيك وهو حاضر، فتقول ما تحب أن يقوله .

الثانى: أن تقدر أنه حاضر وراء جدار يتسمع عليك، فما تحرك فى قلبك من نصرته في حضوره، ينبغى أن يتحرك في غيبته . ومن لم يكن مخلصًا في إخائه فهو منافق . ومن ذلك التعليم والنصيحة، فليس حاجة أخيك إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال، وإذا كنت غنيًّا بالعلم فواسه وأرشده .

وينبغي أن يكون نصحك إياه سرًّا، والفرق بين التوضيح والنصيحة الإعلان والإسرار، كما أن الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الإغضاء، فإن أغضيت لسلامة دينك ولما ترى فيه إصلاح أخيك بالإغضاء، فأنت مدار، وإن أغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مداهن .

ومن ذلك : العفو عن الزلات، فإن كانت زلته في دينه فتلطف في نصحه مهما أمكن، ولا تترك زجره ووعظه، فإن أبى فالمصارمة .

الحق الخامس: الدعاء للأخ في حياته وبعد موته بكل ما تدعو به لنفسك:

وفي أفراد مسلم من حديث أبي الدرداء، أن النَّبي ﷺ قال : " **دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير ؛ قال الملك الموكل به : آمين، ولك بمثل** " .

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يدعو لخلق كثير من إخوانه يسميهم بأسمائهم . وكان أحمد بن حنبل رحمه الله يدعو في السَّحر لستة نفر .

وأما الدعاء بعد الموت، فقال عمرو بن حريث : إذا دعا العبد لأخيه الميت، أتى بها ملك قبره، فقال : يا صاحب القبر الغريب، هذه هدية من أخ عليك شفيق .

الحق السادس : الوفاء والإخلاص ، ومعنى الوفاء :

الثبات على الحب إلى الموت، وبعد موت الأخ مع أولاده وأصدقائه، وقد أكرم النَّبي ﷺ عجوزاً وقال: "**إنها كانت تغشانا في أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان** " . ومن الوفاء أن لا يتغير على أخيه في التواضع، وإن ارتفع شأنه، واتسعت ولايته، وعظم جاهه .

واعلم : أن ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الدين، فقد كان الشافعي رحمه الله آخى محمد بن عبدالحكم، وكان يقربه ويقبل عليه، فلما احتضر قيل له : إلى من نجلس بعدك يا أبا عبد الله ؟ فاستشرف له محمد بن عبدالحكم وهو عند رأسه ليومئ إليه؛ فقال : إلى أبي يعقوب البويطي، فانكسر لها محمد . ومع أن محمداً كان قد حمل مذهبه، لكن البويطي كان أقرب إلى الزهد والورع، فنصح الشافعي رحمه الله المسلمين وترك المداهنة، فانقلب ابن الحكم عن مذهبه، وصار من أصحاب مالك . ومن الوفاء أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه، ولا يصادق عدو صديقه .

الحق السابع : التخفيف وتـــرك التكلف والتكليف :

وذلك أن لا يكلف أخاه ما يشق عليه، بل يُرُوِّحُ سره عن مهماته وحاجاته، ولا يستمد من جاهه ولا ماله، ولا يكلفه التفقد لأحواله والقيام بحقوقه والتواضع له، بل يكون قصده بمحبته الله وحده، والتبرك بدعائه، والاستئناس بلقائه، والاستعانة على دينه، والتقرب إلى الله تعالى بالقيام بحقوقه، وتمام التخفيف: طي بساط الاحتشام حتى لا يستحي منه فيما لا يستحي فيه من نفسه . قال جعفر بن محمد : أثقل إخواني عليَّ: من يتكلف لي وأتحفظ منه، وأخفهم على قلبي: من أكون معه كما أكون وحدي.

وقال بعض الحكماء : من سقطت كلفته دامت ألفته ومن تمام هذا الأمر أن ترى الفضل لإخوانك عليك، لا لنفسك عليهم، فتنزل نفسك معهم منزلة الخادم " . اهـ.

فائـــدة في البـــر:

قال السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ في "تنبيه الغافلين" :

"يقال: سبعة أشياء من كنوز البر، وكل واحد من ذلك واجب بكتاب الله تعالى:

أولها: الإخلاص في العبادة :

■ لقوله عز وجل: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [البينة: ٥].

والثاني: بر الوالدين :

■ لقوله عز وجل: ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤].

والثالث: صلة الرحم :

■ لقوله عز وجل: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ﴾ [النساء: ١].

والرابع: أداء الأمانة :

■ لقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨].

والخامس: أن لا يطيع أحداً في المعصية :

■ لقوله عز وجل: ﴿ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا ﴾ [آل عمران: ٦٤].

والسادس: أن لا يعمل بهوى نفسه :

■ لقوله عز وجل: ﴿ ونهى النفس عن الهوى (٤٠) فإن الجنة هي المأوى (٤١) ﴾ .

[النازعات: ٤٠ - ٤١].

والسابع: أن يجتهد في الطاعة، ويخاف الله تعالى، ويرجو ثوابه :

■ لقوله عز وجل: ﴿ يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ﴾ [السجدة: ١٦].

فالواجب على كل إنسان أن يكون خائفًا باكيًا؛ فإن الأمر شديد" . اهـ.

[٢] صنائع المعروف :

ومن أعمال الخير الأكيدة: صنائع المعروف.. وهي مما لا يخلو عن فعله وأدائه في كل يوم وليلة :

عن أنس رضي الله عنه أن النَّبي ﷺ قال: "**صنائع المعروف تقي مصارع السوء، والآفات والهلكات، وأهل المعروف في الدنيا، هم أهل المعروف في الآخرة**" (١) .

عن أم سلمة رضي الله عنها ، أن النَّبي ﷺ قال: "**صنائع المعروف تقي مصارع السوء، والصدقة خُفية تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم زيادة في العمر، وكل معروف صدقة، وأهل المعروف في الدنيا؛ هم أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا؛ هم أهل المنكر في الآخرة**" (٢) .

وعن ابن عباس، رضي الله عنهما، أن النَّبي ﷺ قال: "**عليكم باصطناع المعروف؛ فإنه يمنع مصارع السوء، وعليكم بصدقة السر؛ فإنها تطفئ غضب الرب عز وجل**" (٣) .

---

(١) حديث صحيح : أخرجه الحاكم في « المستدرك » ، وانظر « صحيح الجامع » .

(٢) حديث صحيح : أخرجه الطبراني في « الأوسط » ، وانظر « صحيح الجامع » .

(٣) حديث صحيح : أخرجه ابن أبي الدنيا في « قضاء الحوائج » ، وانظر : « صحيح الجامع » .

وصنائع المعروف: هي ما يُصطنع من الخير،وهي تقي من كل ما ذُكر في الحديث، أي تحفظ منه،وذلك بأن تتسبب في عدم حصوله،أو تكون سببًا في تخفيفه.

وصنائع المعروف كثيرة جدًّا؛ فكل ما كان من خير أو معروف، يرضاه الله تعالى، ويقره الإسلام، فهو من اصطناع المعروف، ومنه:

إماطة الأذى عن الطريق:

فإن نفعه حاصل بين الناس جميعًا، أما بالنسبة للْمُميطُ: فحصول الثواب والأجر المترتب على ذلك.. وأما غير المميط: فسلامته من الأذى.

وإماطة الأذى عن الطريق: شُعْبَةٌ من شُعَبِ الإيمان:

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: "**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا: قَوْلُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ**". مسلم.

وإماطة الأذى عن الطريق: صدقة:

وَقَالَ هَمَّامٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: "**يُمِيطُ الأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**". البخاري تعليقًا.

وإماطة الأذى عن الطريق: خصلة من خصال دخول الجنة:

عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي كَبْشَةَ السَّلُولِيِّ سَمِعْتُ: عَبْدَاللَّه بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: "**أَرْبَعُونَ خَصْلَةً، أَعْلاهُنَّ مَنِيحَةُ الْعَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا، رَجَاءَ ثَوَابِهَا، وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إِلا أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهَا الْجَنَّةَ**". قَالَ حَسَّانُ: فَعَدَدْنَا مَا دُونَ مَنِيحَةِ الْعَنْزِ، مِنْ: رَدِّ السَّلامِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَإِمَاطَةِ الأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ، وَنَحْوِهِ، فَمَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نَبْلُغَ خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً.

وإماطة الأذى عن الطريق: من محاسن الأعمال:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي، حَسَنُهَا**

وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا: الأَذَى يُمَاطُ عَنْ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا: النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لا تُدْفَنُ". مسلم.

وإماطة الأذى عن الطريق؛ مما ينتفع به:

عن أَبِي بَرْزَةَ قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، عَلِّمْنِي شَيْئًا أَنْتَفِعُ بِهِ. قَالَ: "**اعْزِلْ الأَذَى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ**". مسلم.

والمقصود بإماطة الأذى: "أي تنحيته وإبعاده.

والمراد بالأذى: كل ما يؤذي من حجر، أو مدر، أو شوك، أو غيره" (١).

وفي هذه الأحاديث التي مرت: " تنبيه على فضل فعل ما ينفع المسلمين، أو يزيل ضررهم، وإن كان يسيراً حقيراً.

ويظهر أن المراد: الطريق المسلوك،لا المهجور وإن مر فيه على ندور، وخرج بطريق المسلمين طريق أهل الحرب ونحوهم، فلا يُندب عزل الأذى عنها، بل يندب وضعه فيها، ويظهر أنه يُلحق بهم طريق القطاع وإن كانوا مسلمين؛ حيث اختصت بهم.

وقد يشمل الأذى قطاع الطريق والظلمة، لكن ذلك ليس إلا للإمام والحكام"(٢).

ومما يلتحق أيضًا بإماطة الأذى عن الطريق معنىً: التوسعة والإفساح؛ ذلك أن كثيراً من الناس يمشون في الطرقات وقد شغلوا ممراتها ووسطها، وإنما كان ينبغي أن يلزموا حافات الطريق. ولتختص المرأة بذلك؛ فقد أمر النَّبي ﷺ بذلك:

عَنْ حَمْزَةَ بْنِ أَبِي أُسَيْدٍ الأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ، وَهُوَ خَارِجٌ مِنْ الْمَسْجِدِ، فَاخْتَلَطَ الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلنِّسَاءِ: "**اسْتَأْخِرْنَ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ، عَلَيْكُنَّ بِحَافَاتِ الطَّرِيقِ**". فَكَانَتْ الْمَرْأَةُ تَلْتَصِقُ بِالْجِدَارِ، حَتَّى إِنَّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالْجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ (٣).

---

(١) صحيح مسلم: بشرح النووي.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، للعلامة المناوي.

(٣) حديث حسن: أخرجه أبو داود، وانظر« صحيح الجامع ».

وأيضًا فإن أكثر أصحاب المحلات وحوانيت البيع والشراء ممن يضيقون على المارة، فينبغي التفطن لمثل هذه الأعمال.

ومنكرات الشوارع والطرقات كثيرة ومتنوعة:

قال العلامة ابن قدامة المقدسي ـ رحمه الله ـ في "مختصر منهاج القاصدين":

"**ومن ذلك:** بناء دكان متصلة بالأبنية المملوكة، وإخراج الأجنحة، وغرس الأشجار، إذا كان ذلك يؤدي إلى تضيق الطريق، والإضرار بالمارة، فأما وضع الحطب والطعام في الطريق؛ بمقدار ما يُنقل إلى البيوت: فجائز؛ فإن ذلك يشترك الكافة في الحاجة إليه.

ومن ذلك: تحميل الدواب من الأحمال ما لا تطيق، وكذلك طرح الكناسة على جوانب الطريق، وتبديد قشور البطيخ، أو رش الماء، بحيث يُخشى منه الزلق، والماء الذي يجتمع من ميزاب معين، فأما إن كان من المطر، ذلك على الولاة، وليس للآحاد في ذلك إلا الوعظ". اهـ.

وعليه: فينبغي أن لا يُستهان بهذا العمل، كما أنه لا يُحتقر، ويُنظر إليه على أنه عمل قليل؛ لا يؤبه به؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: "**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ، فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ**". متفق عليه.

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في "فتح الباري":

"فيه أن قليل الخير يحصل به كثير الأجر". اهـ.

وبالجملة: فإن "هذه الأحاديث المذكورة في الباب: ظاهرة في فضل إزالة الأذى عن الطريق، سواء كان الأذى شجرة توذي، أو غصن شوك، أو حجرًا يعثر به، أو قذرًا، أو جيفة، وغير ذلك. وإماطة الأذى عن الطريق من شُعَبِ الإيمان كما سبق في الحديث الصحيح.

وفيه: التنبيه على فضيلة كل ما نفع المسلمين، وأزال عنهم ضرراً" (١).

هدايـــة الضـــال:

أي إرشاد من ضَلَّ طريقًا ما، وذلك بوصف أيسر الطرق الموصلة إليه، حتى يبلغه دون مشقة.

عَنْ الْبَـرَاءِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُـولَ اللَّـه ﷺ مَـرَّ بنَاسٍ جُلُوسٍ مِنْ الأَنْصَـارِ، فَـقَـالَ: "**إِنْ كُنْتُمْ لا بُدَّ فَاعلِينَ: فَاهْدُوا السَّبِيلَ، وَأَفْشُوا السَّلامَ، وَأَعِينُوا الْمَظْلُومَ**" (٢).

صدقـــة التطوع:

ومن صنائع المعروف أيضًا: صدقة التطوع.

قال تعالى: ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨) ﴾ [الحديد: ١٨].

■ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: "**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ، مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ؛ وَلا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ**". متفق عليه.

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في "فتح الباري":

"فإن العبد إذا تصدق من كسب طيب، لا يزال نظر الله إليها يُكسبها نعت الكمال، حتى تنتهي بالتضعيف إلى نصاب تقع المناسبة بينه وبين ما قدم، نسبة ما بين

(١) صحيح مسلم بشرح النووي.

(٢) حديث صحيح: أخرجه أحمد، والترمذي، وانظر «صحيح الجامع».

التمرة إلى الجبل" . اهـ.

وقال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في "شرح صحيح مسلم":

"وقد قيل في تربيتها وتعظيمها حتى تكون أعظم من الجبل: أن المراد بذلك تعظيم أجرها، وتضعيف ثوابها. اهـ.

■ وعن حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ الخُزَاعِيِّ رضي الله عنه يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "**تَصَدَّقُوا؛ فَسَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يَمْشِي الرَّجُلُ بِصَدَقَتِه، فَيَقُولُ الرَّجُلُ: لَوْ جِئْتَ بِهَا بِالأَمْسِ لَقَبِلْتُهَا مِنْكَ؛ فَأَمَّا الْيَوْمَ فَلا حَاجَةَ لِي فِيهَا**" . متفق عليه.

■ وعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ**" . متفق عليه.

■ وعَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَذَكَرَ الصَّدَقَةَ وَالتَّعَفُّفَ وَالْمَسْأَلَةَ: "**الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى؛ فَالْيَدُ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفِقَةُ، وَالسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ**" . متفق عليه.

■ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلا مَلَكَانِ يَنْزِلانِ؛ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا. وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**" . متفق عليه.

■ وعن سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ**" . فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ ، قَالَ: "**يَعْمَلُ بِيَدِهِ؛ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ**" . قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: "**يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ**" . قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: "**فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ؛ فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ**" . متفق عليه.

■ وعن سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "**لا حَسَدَ إِلا عَلَى اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْكِتَابَ، وَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ،**

وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالا، فَهُوَ يَتَصَدَّقُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ" . متفق عليه .

■ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : "قَالَ اللَّهُ : أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ، أُنْفِقْ عَلَيْكَ" . متفق عليه .

■ وعَنْ الحَارِث بْنِ سُوَيْد، قَالَ عَبْدُ اللَّه : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : "أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِه أَحَبُّ إِلَيْه مِنْ مَاله؟" . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّه مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْه . قَالَ : "فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالُ وَارِثِه مَا أَخَّرَ" . البخاري .

■ وعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : "مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ، فَلا يَرَى إِلا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِه، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ، فَلا يَرَى إِلا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْه، فَلا يَرَى إِلا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِه؛ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ" . متفق عليه .

■ وعَنْ أَبِي مَالِك الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : "الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَان، وَالْحَمْدُ للَّه تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّه وَالْحَمْدُ للَّه تَمْلآَن، أَوْ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَات وَالأَرْض، وَالصَّلاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، أَوْ مُوبِقُهَا" . مسلم .

■ وعَنْ مُطَرِّف، عَنْ أَبِيه قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ . قَالَ : "يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مَالِي مَالِي" . قَالَ : "وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ" . مسلم .

■ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَبْلُغُ بِه النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : "قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ" . وَقَالَ : "يَمِينُ اللَّه مَلأَى" . متفق عليه .

قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في "شرح صحيح مسلم" :

"قوله عز وجل : (**أنفق أُنفق عليك**) : هو معنى قوله عز وجل : ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ [سبأ : ٣٩] .

فيتضمن: الحث على الإنفاق معنى في وجوه الخير، والتبشير بالخلف من فضل الله تعالى".

وثمة تنبيه هاهنا: وهو أن العبد لا يستقل صدقة تصدق بها مخلصًا لله تعالى؛ فإنها عند الله تعالى، لا اعتبار لها بالكثرة أو القلة، إنما الاعتبار بالإخلاص فيها، وأن تكون من حلال طيب، لا من حرام خبيث.

■ عن عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**". متفق عليه.

■ وعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "**مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَتِرَ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ؛ فَلْيَفْعَلْ**". متفق عليه.

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في "فتح الباري":

"وفي الحديث: الحث على الصدقة بما قل وما جل، وأن لا يحتقر ما يتصدق به، وأن اليسير من الصدقة يستر المتصدق من النار". اهـ.

وقال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في "شرح صحيح مسلم":

"وفيه: الحث على الصدقة، وأنه لا يمتنع منها لقلتها، وأن قليلها سبب للنجاة من النار".

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: "**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**". مسلم.

[٣] الأمـــر بالمعروف، والنهـــي عن المنكر:

قال العلامة ابن قدامة المقدسي ـ رحمه الله ـ في "مختصر منهاج القاصدين":

"**اعلم**: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي بعث الله به النبيين، ولو طُوي بساطه، لاضمحلت الديانة، وظهر الفساد، وخربت البلاد.

قال الله تعالى : ﴿ ولْتكُن مِنكُم أُمَّةٌ يدْعُونَ إلى الْخيْر ويأْمُرُون بالمعْرُوف وينْهوْن عن الْمُنكر وأُولئك هُمُ الْمُفْلحُون (١٠٤) ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

وفي هذه الآية بيان: أنه فرض على الكفاية لا فرض عين؛ لأنه قال : ﴿ ولْتكُن منكُم أُمَّةٌ ﴾ ، ولم يقل : كونوا كلكم آمرين بالمعروف، فإذا قام به من يكفى سقط عن الباقين، واختص الفلاح بالقائمين المباشرين له . وفي القرآن العظيم آيات كثيرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**مثل القائم على حدود الله والمداهن فيها، مثل قوم ركبوا سفينة، فأصاب بعضهم أسفلها وأوعرها وشرها، وأصاب بعضهم أعلاها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم فآذوهم، فقالوا : لو خرقنا في نصيبنا خرقًا فاستقينا منه، ولم نؤذي من فوقنا، فإن تركوهم وأمرهم هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعًا**" .

فصل في : مراتب الإنكـــار وبعض ما ورد فيه :

فقد جاء في الحديث المشهور من رواية مسلم، أن النبى ﷺ قال : " **من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**" .

وفى حديث آخر : " **أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر** " .

وفى حديث آخر : " **إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له : أنت ظالم، فقد تُودِّع منهم** " .

وقام أبو بكر رضي الله عنه ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يضُرُّكُم مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة : ١٠٥] .

وإنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول : " **إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه ؛ أوشك أن يَعمَّهُم الله بعذاب** " . وعنه ﷺ أنه قال : " **لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله شراركم على خياركم ، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم** " .

فصل في: أركانه وشروطه ودرجاته وأدلتـــه ونحو ذلك:

اعلم : أن أركان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أربعة :

أحدها : أن يكون المُنْكِر مكلفًا مسلمًا قادرًا، وهذا شرط لوجوب الإنكار؛ فإن الصبي المميز، له إنكار المنكر، ويثاب على ذلك، لكن لا يجب عليه .

وأما عدالة المنكر، فاعتبرها قوم وقالوا : ليس للفاسق أن يحتسب، وإنما استدلوا بقوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة : ٤٤] .

المُنكر مأذونًا فيه من جهة الإمام أو الوالي، ولم يجيزوا لآحاد الرعية الحسبة، وهذا فاسد؛ لأن الآيات والأخبار عامة، تدل على أن كل من رأى منكرًا فسكت عنه عصى، فالتخصيص بإذن الإمام تحكم . ومن العجب أن الروافض زادوا على هذا فقالوا : لا يجوز الأمر بالمعروف ما لم يخرج الإمام المعصوم، وهؤلاء أخس رتبة من أن يتكلموا، لكن جوابهم أن يقال لهم إذا جاءوا إلى القاضي طالبين حقوقهم : نُصْرَتُكُم أمر بالمعروف، واستخراج حقوقكم من يد من ظلمكم نهى عن المنكر، ولم يجئ زمان ذلك؛ لأن الإمام لم يخرج بعد .

فإن قيل : في الأمر بالمعروف إثبات سلطنة وولاية على المحكوم عليه، ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم، مع كونه حقًّا، فينبغي أن لا يثبت لآحاد الرعية إلا بتفويض من السلطان .

قلنا : أما الكافر فممنوع من ذلك لما فيه من السلطة والعز، وأما آحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة .

مراتب الحِسْبة :

واعلم أن الحِسْبة لها خمس مراتب :

[١] التعريف .

[٢] والوعظ بالكلام اللطيف .

[٣] السب والتعنيف، ولسنا نعني بالسب الفاحشة ، بل نقول له : يا جاهل، يا أحمق، ألا تخاف من الله تعالى ! ونحو ذلك .

[٤] المنع بالقهر، ككسر الملاهي، وإراقة الخمر .

[٥] التخويف والتهديد بالضرب، أو مباشرة الضرب له حتى يمتنع عما هو عليه، فهذه المرتبة تحتاج إلى الإمام دون ما قبلها؛ لأنه ربما جر إلى فتنة .

واستمرار عادات السلف على الحسبة على الولاة، قاطع بإجماعهم على الاستغناء عن التفويض.

فإن قيل: هل تثبت الحسبة للولد على الوالد، والعبد على السيد، والزوجة على الزوج، والرعية على الوالي ؟ .

قلنا : أصل الولاية ثابت للكل، وقد رتبنا للحسبة خمس مراتب . فللولد من ذلك الحسبة بالتعريف، ثم بالوعظ والنصح باللطف .وله من الرتبة الخامسة :أن يكسر العود،ويريق الخمر،ونحو ذلك، وهذا الترتيب ينبغي أن يجرى في العبد والزوجة.

وأما الرعية مع السلطان، فالأمر فيه أشد من الولد، فليس معه إلا التعريف والنصح . ويشترط كون المُنْكِر قادراً على الإنكار، فأما العاجز، فليس عليه إنكار إلا بقلبه، ولا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسي، بل يلتحق به خوف مكروه يناله، فذلك في معنى العجز .

وكذلك إذا علم أن إنكاره لا ينفع، فيقسم إلى أربعة أحوال :

أحدها : أن يعلم أن المنكر يزول بقوله أو فعله من غير مكروه يلحقه، فيجب عليه الإنكار.

الحالة الثانية : أن يعلم أن كلامه لا ينفع وأنه إن تكَلَّم ضُرِبَ ، فيرتفع الوجوب عنه .

الحالة الثالثة : أن يعلم أن إنكاره لا يفيد، لكنه لا يخاف مكروهًا، فلا يجب عليه الأمر لعدم الفائدة،لكن يستحب لإظهار شعائر الإسلام والتذكير بالدين .

الحالة الرابعة : أن يعلم أنه يصاب بمكروه، ولكن يبطل المنكر بفعله، مثل أن يكسر العود، ويريق الخمر، ويعلم أنه يُضرب عُقيب ذلك، فيرتفع الوجوب عنه، ويبقى مستحبًّا لقوله في الحديث : " **أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر** " .

ولا خلاف أنه يجوز للمسلم الواحد أن يهجم على صفوف الكفار ويقاتل، وإن علم أنه يُقتل، لكن إن علم أنه لا نكاية له في الكفار، كالأعمى يطرح نفسه على الصف، حرم ذلك، وكذلك لو رأى فاسقًا وحده وعنده قدح خمر وبيده سيف، وعلم أنه لو أنكر عليه لشُرْبِ الخمر لضرب عنقه، لم يَجُز له الإقدام على ذلك؛ لأن هذا لا يؤثر في الدين أثرًا يفديه بنفسه، وإنما يستحب له الإنكار إذا قدر على إبطال المنكر، وظهر لفعله فائدة، كمن يحمل في صف الكفار ونحوه .

وإن علم المُنْكِر أنه يضرب معه غيره من أصحابه، لم تجز له الحسبة؛ لأنه عجز عن دفع المنكر إلا بإفضائه إلى منكر آخر، ليس ذلك من القدرة في شيء . ولسنا نعنى بالعلم في هذه المواضيع إلا غلبة الظن، فمن غلب على ظنه أنه يصيبه مكروه، لم يجب عليه الإنكار، وإن غلب على ظنه أنه لا يصيبه وجب، ولا اعتبار بحالة الجبان، ولا الشجاع المتهور، بل الاعتبار بالمعتدل الطبع، السليم المزاج . ونعنى بالمكروه : الضرب أو القتل، وكذلك نهب المال، والإشهار في البلد مع تسويد الوجه، فأما السب والشتم، فليس بعذر في السكوت؛ لأن الآمر بالمعروف يلقى ذلك في الغالب.

الركن الثانى : أن يكون ما فيه الحسبة منكراً موجوداً في الحال ظاهراً :

فمعنى كونه منكراً أن يكون محذور الوقوع في الشرع، والمنكر أعم من المعصية، إذ من رأى صبيًّا أو مجنونًا يزنى بمجنونة أو بهيمة، فعليه أن يمنعه .

وقولنا : موجوداً في الحال، احتراز ممن شرب الخمر وفرغ من شربها، ونحو ذلك؛ فإن ذلك ليس إلى الآحاد، وفيه أيضًا احتراز عما سيوجد في ثاني الحال، كمن يعلم بقرينة حاله أنه عازم على الشرب الليلة، فلا حسبة عليه إلا بالوعظ .

وقولنا : ظاهراً، احتراز ممن تَسَتَّر بالمعصية في داره وأغلق بابه؛ فإنه لا يجوز أن يتجسس عليه، إلا أن يظهر ما يعرفه من هو خارج الدار، كأصوات المزامير والعيدان، فلمن سمع ذلك أن يدخل ويكسر الملاهي، فإن فاحت رائحة الخمر، فالأظهر جواز الإنكار .

ويشترط في إنكار المنكر أن يكون معلومًا كونه منكراً بغير اجتهاد، فكل ما هو في محل الاجتهاد، فلا حسبة فيه، فليس للحنفي أن ينكر على الشافعي أكله متروك التسمية، ولا للشافعي أن ينكر على الحنفي شربه يسير النبيذ الذي ليس بمسكر .

الركن الثالث : في المُنْكَر عليه :

ويكفى في صفته أن يكون إنسانًا، ولا يشترط كونه مكلفًا كما بينا قبله من أنه ينكر على الصبي والمجنون .

الركن الرابع : نفس الاحتساب، وله درجات وآداب :

الدرجة الأولى : أن يعرف المنكر، فلا ينبغي له أن يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الأوتار، ولا يتعرض للشم ليدرك رائحة الخمر، ولا أن يمس ما قد ستر بثوب ليعرف شكل المزمار، ولا أن يستخبر جيرانه بما يجرى، بل لو أخبره عدلان ابتداءً أن فلانًا يشرب الخمر، فله إذ ذاك أن يدخل وينكر .

الدرجة الثانية : التعريف، فإن الجاهل يقدم على الشيء لا يظنه منكراً، فإذا

عرف أقلع عنه، فيجب تعريفه باللطف، فيقال له : إن الإنسان لا يولد عالماً، ولقد كنا جاهلين بأمور الشرع حتى علمنا العلماء، فلعل قريتك خالية من أهل العلم .

فهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير إيذاء . ومن اجتنب محذور السكوت عن المنكر، واستبدل عنه محذور الإيذاء للمسلم مع الاستغناء عنه، فقد غسل الدم بالبول .

الدرجة الثالثة : النهى بالوعظ والنصح والتخويف بالله : ويورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد، ويحكي له سيرة السلف، ويكون ذلك بشفقة ولطف، من غير عنف وغضب، وها هنا آفة عظيمة ينبغي أن يتوقاها، وهو أن العالم يرى عند التعريف عز نفسه بالعلم، وذل غيره بالجهل .

ومثال ذلك مثال من يُخلِّص غيره من النار بإحراق نفسه، وهو غاية الجهل، ومذلة عظيمة، وغرور من الشيطان، ولذلك محك ومعيار، فينبغي أن يمتحن به المحتسب نفسه، أو باحتساب غيره عليه، أحب إليه من امتناعه باحتسابه، فإن كانت الحسبة شاقة عليه، ثقيلة على نفسه، وهو يود أن يكفى بغيره، فليحتسب، فإن باعثه هو الدين، وإن كان الأمر بالعكس، فهو متبع هوى نفسه، متوسل إلى إظهار جاهه بواسطة إنكاره، فليتق الله وليحتسب أولاً على نفسه .

وقيل لداود الطائى : أرأيت رجلاً دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر ؟ قال : أخاف عليه السوط . قيل : هو يقوى على ذلك، قال : أخاف عليه السيف . قيل : هو يقوى على ذلك . قال أخاف عليه الداء الدفين : العُجْبَ .

الدرجة الرابعة: السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن: وإنما يعدل إلى هذا عند العجز عن المنع باللطف، وظهور مبادئ الإصرار، والاستهزاء بالوعظ والنصح، ولسنا نعنى بالسب : الفحش والكذب، بل نقول له : يا فاسق، يا أحمق، يا جاهل، ألا تخاف الله؟ ، قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ **أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٦٧)** ﴾ [الأنبياء : ٦٧] .

الدرجة الخامسة : التغيير باليد ، ككسر الملاهي ، وإراقة الخمر ، وإخراجه من الدار المغصوبة ، وفي الدرجة أدبان :

أحدهما : أن لا يباشر التغيير ما لم يعجز عن تكليف المنكر علي ذلك، فإذا أمكنه أن يكلفه الخروج عن الأرض المغصوبة، فلا ينبغي أن يجره ولا يدفعه .

والثاني : أن يكسر الملاهي كسراً يبطل صلاحيتها للفساد، ولا يزيد على ذلك، ويتوقى في إراقة الخمور كسر الأواني إن وجد إليه سبيلاً، وإن لم يقدر إلا بأن يرمى ظروفها بحجر أو نحوه، فله ذلك، وتسقط قيمة الظرف، ولو ستر الخمر بيديه، فإنه يقصد بيديه بالضرب ليتوصل إلى إراقة الخمر، ولو كانت الخمر في قوارير ضيقة الرؤوس، بحيث أنه إذا اشتغل بإراقتها طال الزمان وأدركه الفساق فمنعوه، فله كسرها، لأن هذا عذر، وكذلك إن كان يضيع الزمان في صبها، وتتعطل أشغاله، فله كسرها ولو لم يحذر من الفساق .

فإن قيل : فهلا يجوز الكسر زجراً، وكذلك الجر بالرجل في الإخراج من الدار المغصوبة زجراً ؟

قلنا : إنما يجوز مثل ذلك للولاة، ولا يجوز لآحاد الرعية ، لخفاء وجه الاجتهاد فيه .

الدرجة السادسة : التهديد والتخويف كقوله : دع عنك هذا وإلا فعلت بك كذا وكذا. وينبغى أن يقدم هذا على تحقيق الضرب إذا أمكن تقديمه . والأدب بهذه الرتبة أن لا يهدد بوعيد لا يجوز تحقيقه، كقوله : لأنهبن دارك، ولأسبين زوجتك. لأنه إن قال ذلك عن عزم، فهو حرام، وإن قاله عن غير عزم، فهو كذب .

الدرجة السابعة : مباشرة الضرب باليد والرجل، وغير ذلك مما ليس فيه إشهار سلاح، وذلك جائز للآحاد بشرط الضرورة، والاقتصار على قدر الحاجة، فإذا اندفع المنكر فينبغي أن يكف .

الدرجة الثامنة : أن لا يقدر على الإنكار بنفسه، ويحتاج إلى أعوان يشهرون السلاح، فإنه ربما يستمد الفاسق أيضًا بأعوانه ويؤدى إلى القتال، فالصحيح أن ذلك يحتاج إلى إذن الإمام، لأنه يؤدى إلى الفتن وهيجان الفساد .

وقيل: لا يشترط في ذلك إذن الإمام .

فصل في : صفات المحتسب :

وقد ذكرنا آداب المحتسب مفصلة، وجملتها ثلاث صفات في المحتسب .

أحدهـــا : العلم بمواقع الحسبة وحدودها ومواقعها، ليقتصر على حد الشرع .

والثانـــي: الورع، فإنه قد يعلم شيئاً ولا يعمل به لغرض من الأغراض .

والثالث : حسن الخلق، وهو أصل ليتمكن من الكف، فإن الغضب إذا هاج لم يَكْف مجرد العلم والورع في قَمْعِه، ما لم يكن في الطبع خلق حسن . قال بعض السلف: لا يأمر بالمعروف إلا رفيق فيما يأمر به، رفيق فيما ينهى عنه، حليم فيما يأمر به، حليم فيما ينهى عنه، فقيه فيما يأمر به، فقيه فيما ينهى عنه .

ومن الآداب : تقليل العلائق، وقطع الطمع عن الخلق لتزول المداهنة، فقد حُكى عن بعض السلف أنه كان له سنور، وكان يأخذ لسنوره في كل يوم من قصاب في جواره شيئًا من الغدد . فرأى على القصاب منكرًا، فدخل الدار فأخرج السنور، ثم جاءه فأنكر على القصاب، فقال : لا أعطيك بعد هذا شيئًا لسنورك. فقال : ما أنكرت عليك إلا بعد إخراج السنور، وقطع الطمع منك. وهذا صحيح، فإن لم يقطع الطمع من الناس من شيئين؛ لم يقدر على الإنكار عليهم .

أحدهما: من لطف ينالونه به.

والثاني : من رضاهم عنه وثنائهم عليه .

وأما الرفق في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فمتعين ، قال الله تعالى: ﴿ فقولا له قولا لينا ﴾ [طه : ٤٤] .

وروى أن أبا الدرداء رضي الله عنه ، مر على رجل قد أصاب ذنبًا والناس يسبونه، فقال : أرأيتم لو وجدتموه في قليب، ألم تكونوا مستخرجيه ؟ قالوا : بلى، قال : فلا تسبوا أخاكم، واحمدوا الله الذي عافاكم. فقالوا : أفلا تبغضه ؟ فقال : إنما أبغض عمله، فإذا تركه، فهو أخي .

ومر فتى يجر ثوبه، فهم أصحاب صلة بن أشيم أن يأخذوه بألسنتهم أخذًا شديدًا، فقال صلة : دعوني أكفكم أمره. ثم قال : يا ابن أخي، إن لى إليك حاجة . قال ما هي ؟ قال : أحب أن ترفع إزارك. قال نعم ونعمى عين. فرفع إزاره، فقال صلة لأصحابه : هذا كان أمثل مما أردتم، فإنكم لو شتمتموه وآذيتموه لشتمكم .

وُدعي الحسن إلى عرس، فجئ بجام من فضة فيه خبيص، فتناوله وقلبه على رغيف، فأصاب منه، فقال رجل: هذا نهى في سكون " . اهـ.

[٤] الدعاء :

ومن الخير الذي يلزمه المسلم في اليوم والليلة : الدعاء ، فإن الدعاء لا يخفى نفعه ، ولا يغيب فضله .

قال الله تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون (١٨٦) ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

وقال تعالى : ﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون (٦٢) ﴾ [النمل : ٦٢] .

وقال تعالى : ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين (٦٠) ﴾ [غافر : ٦٠] .

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - في تفسيره :

" هذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه ؛ أنه ندب عباده إلى دعائه ، وتكفل لهم بالإجابة، كما كان سفيان الثوري يقول : يا من أحب عباده إليه من سأله فأكثر سؤاله ، ويا من أبغض عباده إليه من لم يسأله ، وليس أحد كذلك غيرك يارب » . ا هـ .

■ وعن النعمان بن بشير عن النَّبي ﷺ في قوله : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ ، قال : " **الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ** " وقرأ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ دَاخِرِينَ ﴾ (١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النَّبي ﷺ قال : « **أفضل العبادة الدعاء** » (٢) .

■ وَعَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: "قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : **يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ وَلا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**" (٣) .

■ وعَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ رضي الله عنه حَدَّثَهُمْ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: "**مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ، إِلا آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ**". فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: إِذًا نُكْثِرُ. قَالَ: **اللَّهُ أَكْثَرُ** (٤) .

■ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ :"**مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو اللَّهَ بِدُعَاءٍ إِلا اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِمَّا أَنْ يُعَجَّلَ لَهُ فِي الدُّنْيَا ،وَإِمَّا أَنْ يُدَّخَرَ لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يُكَفَّرَ عَنْهُ مِنْ ذُنُوبِهِ بِقَدْرِ مَا دَعَا ،مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ أَوْ يَسْتَعْجِلْ**". قَالُوا:

---

(١) حديث صحيح : أخرجه أحمد ، وأصحاب السُنن ، وانظر « صحيح الجامع » .

(٢) حديث صحيح : أخرجه الحاكم ، وانظر « صحيح الجامع » .

(٣) حديث حسن : أخرجه الترمذي ، وانظر « صحيح الجامع » .

(٤) حديث حسن : أخرجه الترمذي ، وانظر « صحيح الجامع » .

يَا رَسُولَ اللَّه،وَكَيْفَ يَسْتَعْجِلُ؟، قَالَ: **"يَقُولُ دَعَوْتُ رَبِّي فَمَا اسْتَجَابَ لِي"** . (١) .

■ وعن ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: **"إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ؛ فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّه بِالدُّعَاءِ"** (٢) .

وعنْ سَلْمَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: **"لا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلا الدُّعَاءُ، وَلا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلا الْبِرُّ"** (٣) .

ففضل الدعاء ظاهر، وفائدته واضحة، فينبغي أن لا يغفل عنه مسلم أو مسلمة، فإن في تركه تضييع لخير حاصل.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: **" أعجز الناس من عجز عن الدعاء، و أبخل الناس من بخل بالسلام"** (٤) .

وللدعاء آداب، منها:

التضرع والخشوع.. والرغبة والرهبة.. والدعاء بأسماء الله الحسنى.. والصلاة والسلام على النَّبي ﷺ .. والدعاء بالجوامع.. والعزم بالدعاء، واليقين بالإجابة.. ورفع الأيدي في الدعاء.

وللدعاء المستجاب أوقات وأحوال:

أما أوقاته:

الدعاء بين الأذان والإقامة.. الدعاء يوم الجمعة.. الدعاء في جوف الليل.. الدعاء عند نزول المطر.. الدعاء في الجهاد في سبيل الله تعالى.. الدعاء يوم عرفة.

وأما أحواله:

في حال دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب.. في حال الصوم.. في حال الذكر..

---

(١) حديث صحيح : أخرجه الترمذي ، وانظر « صحيح الجامع » .

(٢) حديث حسن : أخرجه الترمذي ، وانظر « صحيح الجامع » .

(٣) حديث حسن : أخرجه الترمذي ، وانظر « صحيح الجامع » .

(٤) حديث صحيح : أخرجه الطبراني في « الكبير » ، والبيهقي في الشعب ، وانظر « صحيح الجامع » .

في حال السفر.. في حال دعوة الوالد لولده.. في حال دعوة الضعفاء والمساكين.

وللدعاء آفات، منها:

الاعتداء في الدعاء.. الدعاء عند الشدة فقط.. الدعاء بالشر والهلاك.. استعجال استجابة الدعاء.

وأدلة هذا كله مبسوطة في كتب السُّنَّة، كما أن فقهه مُبَيَّنٌ في الكتب الخاصة بأبواب الدعاء والذكر.

[٥] إفشاء السلام:

وهو من من الفضائل التي غفل عنها كثير من الناس.

وإفشاء السلام: هو تحية المسلمين، التي اختارها الله تعالى لهم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِه، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ؛ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ. فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ. فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّه. فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّه. فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلْ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّى الآنَ**". متفق عليه.

وإفشاء السلام: هو سبب عظيم من أسباب التحاب بين المسلمين:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: "**لا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؛ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ**". مسلم.

قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في شرح صحيح مسلم:

"**قال الشيخ أبو عمرو رحمه الله**: معنى الحديث: لا يكمل إيمانكم إلا بالتحاب. ولا تدخلون الجنة عند دخول أهلها إذا لم تكونوا كذلك. وهذا الذي قاله

محتمل. والله أعلم.

وأما قوله: (**أفشوا السلام بينكم**): فهو بقطع الهمزة المفتوحة. وفيه الحث العظيم على إفشاء السلام، وبذله للمسلمين كلهم، من عرفت، ومن لم تعرف.

والسلام: أول أسباب التآلف، ومفتاح استجلاب المودة.

وفي إفشائه: تمكن ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس، ولزوم التواضع، وإعظام حرمات المسلمين. وقد ذكر البخاري رحمه الله في صحيحه عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال: (**ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الاقتار**). روى غير البخاري هذا الكلام مرفوعًا إلى النَّبي ﷺ.

وبذل السلام للعالم، والسلام على من عرفت ومن لم تعرف، وإفشاء السلام: كلها بمعنى واحد.

وفيها لطيفة أخرى، وهي: أنها تتضمن رفع التقاطع، والتهاجر، والشحناء، وفساد ذات البين؛ التي هي الحالقة، وأن سلامه لله لا يتبع فيه هواه، ولا يخص أصحابه وأحبابه به. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب". اهـ.

وعليه: فهذه الفضيلة العظيمة لابد وأن يلتزمها المسلم والمسلمة، **في يومه** وليلته؛ ففي بذلها الخير الكثير، والأجر الوفير.

[٦] الذِّكْر:

وهو الحصن الحصين للمسلم، والعاصم له من الشيطان، والمنجي له من الخسران.

وقد حث الله تعالى عليه قال تعالى: ﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤١].

■ وعَنِ الْحَارِثِ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ يَحْيَى**

ابْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلام بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، وَكَادَ أَنْ يُبْطِئَ؛ فَقَالَ لَهُ عِيسَى: إِنَّكَ قَدْ أُمِرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ، وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَإِمَّا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ، وَإِمَّا أَنْ أُبَلِّغَهُنَّ. فَقَالَ: يَا أَخِي، إِنِّي أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذَّبَ، أَوْ يُخْسَفَ بِي. قَالَ: فَجَمَعَ يَحْيَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ؛ حَتَّى امْتَلأَ الْمَسْجِدُ، فَقَعَدَ عَلَى الشُّرَفِ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ، وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ:

■ **أَوَّلُهُنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ، مَثَلُ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِوَرِقٍ أَوْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي غَلَّتَهُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ؛ فَاعْبُدُوهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا.

■ **وَآمُرُكُمْ بِالصَّلاةِ**؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلا تَلْتَفِتُوا.

■ **وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ**، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ صُرَّةٌ مِنْ مِسْكٍ فِي عِصَابَةٍ، كُلُّهُمْ يَجِدُ رِيحَ الْمِسْكِ، وَإِنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ عِنْدَ اللَّهِ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ.

■ **وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ**، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ، فَشَدُّوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ، وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ؛ فَقَالَ: هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْتَدِيَ نَفْسِي مِنْكُمْ. فَجَعَلَ يَفْتَدِي نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ؛ حَتَّى فَكَّ نَفْسَهُ.

■ **وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَثِيرًا**، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ، فَأَتَى حِصْنًا حَصِينًا فَتَحَصَّنَ فِيهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

■ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ، اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: بِالْجَمَاعَةِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنْ**

الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، إلا أن يرجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثاء جهنم". قالوا: يا رسول الله، وإن صام وإن صلى؟ قال: "وإن صام وإن صلى، وزعم أنه مسلم، فادعوا المسلمين بأسمائهم، بما سماهم الله عز وجل المسلمين، المؤمنين عباد الله عز وجل" (١).

والأدلة في بيان الذكر والحث عليه كثيرة.

قال السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ في "تنبيه الغافلين":

"اعلم، أن في ذكر الله تعالى خمس خصال محمودة:

أولها: أن فيه رضا الله تعالى.

والثاني: أنه يزيد في الحرص على الطاعات.

والثالث: أن فيه حرزاً من الشيطان إذا كان ذاكراً لله تعالى.

والرابع: أن فيه رقّة القلب.

والخامس: أن يمنعه من المعاصي. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب". اهـ.

وللذكر أكثر من سبعين فائدة، ذكرها الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ بدلائلها، في كتابه القيم: "الوابل الصيب من الكلم الطيب".

والعبد لا يخلو من ذكر الله تعالى في جميع أحواله:

قال السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ في "تنبيه الغافلين":

"وتفسير الذكر في الأحوال كلها، أن العبد لا يخلو من أربعة أحوال:

إما أن يكون في الطاعة.. أو في المعصية.. أو في النعمة.. أو في الشدة.

- **فإن كان في الطاعة:** فينبغي أن يذكر الله تعالى بالتوفيق، ويسأل منه القبول.
- **وإن كان في المعصية:** فينبغي أن يدعو الله بالامتناع، ويسأله التوبة.
- **وإن كان في النعمة:** يذكره بالشكر.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أحمد، و الترمذي، وانظر «صحيح الجامع».

■ **وإن كان في الشدة** : يذكره بالصبر" . اهـ.

والذكر: مطلق.. ومقيد :

أما المطلق: فمنه: التسبيح.. والتحميد.. والتكبير.. والتهليل.. والاستغفار.. والصلاة والسلام على النَّبي ﷺ.

وهذا النوع أدلة فضائله والحث عليه مبسوطة في كتب السُّنَّة ومستفيضة.

وأما المقيد: فنذكر منه ما يلتزمه المسلم والمسلمة، في يومه وليلته، وفي هذا يقول الإمام ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ في: "الوابل الصيب من الكلم الطيب":

"الأذكار الموظفة التي لا ينبغي للعبد أن يخلَّ بها؛ لشدة الحاجة إليها، وعِظَم الانتفاع في الآجل والعاجل بها" . اهـ.

ومن هذه الأذكار الموظفة:

أذكار النوم والاستيقاظ، وأذكار دخول الخلاء، والخروج منه، وأذكار الخروج والدخول، وأذكار الطعام والشراب، وأذكار الصباح والمساء، وذكر ختام المجلس.. وغير هذه الأذكار، وهاك سردٌ لهذه الأذكار :

أذكار النوم والاستيقاظ:

■ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ : كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ: **جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا ؛ فَقَرَأَ فِيهِمَا** : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ، **ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ**. متفق عليه.

■ وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: "**بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا**" . وَإِذَا اسْتَيْقَظَ مِنْ مَنَامِهِ قَالَ: "**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا ، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**" . البخاري.

■ وعَنْ الْبَراءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِه: نَامَ عَلَى شِقِّه الأَيْمَن، ثُمَّ قَالَ: "**اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ؛ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لا مَلْجَأَ وَلا مَنْجَا مِنْكَ إِلا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ**". **وَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: "مَنْ قَالَهُنَّ ثُمَّ مَاتَ تَحْتَ لَيْلَتِه، مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ"**. متفق عليه.

■ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: "**إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِه: فَلْيَأْخُذْ دَاخِلَةَ إِزَارِه؛ فَلْيَنْفُضْ بِهَا فِرَاشَهُ، وَلْيُسَمِّ اللَّهَ؛ فَإِنَّهُ لا يَعْلَمُ مَا خَلَفَهُ بَعْدَهُ عَلَى فِرَاشِه، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَضْطَجِعَ: فَلْيَضْطَجِعْ عَلَى شِقِّه الأَيْمَنِ، وَلْيَقُلْ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّي، بِكَ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِه عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ**". حديث صحيح: أخرجه مسلم.

■ وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِه قَالَ: "**الْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَآوَانَا؛ فَكَمْ مِمَّنْ لا كَافِيَ لَهُ وَلا مُؤْوِيَ**". مسلم.

■ وفي الاستيقاظ؛ كما أخرج البخاري: " ... وَإِذَا اسْتَيْقَظَ مِنْ مَنَامِه قَالَ: "**الْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْه النُّشُورُ**".

أذكار دخول الخلاء، والخروج منه:

■ عَنْ عَبْدِالْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا رضي الله عنه يَقُولُ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْخَلاءَ قَالَ: "**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ**" (١).

■ وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلاءِ قَالَ: "**غُفْرَانَكَ**" (٢).

---

(١) **حديث صحيح**: أخرجه البخاري.

(٢) **حديث صحيح**: أخرجه أحمد، وأصحاب السُّنن الأربعة، وانظر «صحيح الجامع الصغير».

أذكـــار الخروج والدخول إلى المنزل:

■ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**مَنْ قَالَ** ـ يَعْنِي إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ ـ : **بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ؛ يُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ**" (١) .

■ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ: "**بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نَزِلَّ، أَوْ نَضِلَّ، أَوْ نَظْلِمَ، أَوْ نُظْلَمَ، أَوْ نَجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيْنَا**" (٢) .

وعند الدخول:

■ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "**إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، وَعِنْدَ طَعَامِهِ؛ قَالَ الشَّيْطَانُ: لا مَبِيتَ لَكُمْ وَلا عَشَاءَ. وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ دُخُولِهِ؛ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ. وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ طَعَامِهِ؛ قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ**" (٣) .

وعَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**إِذَا وَلَجَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَوْلَجِ، وَخَيْرَ الْمَخْرَجِ، بِسْمِ اللَّهِ وَلَجْنَا، وَبِسْمِ اللَّهِ خَرَجْنَا، وَعَلَى اللَّهِ رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا. ثُمَّ لِيُسَلِّمْ عَلَى أَهْلِهِ**" (٤) .

أذكـــار الطعـــام والشـــراب:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "**إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ: فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ،**

---

(١) حديث صحيح : أخرجه الترمذي ، وانظر : « صحيح الجامع » .

(٢) حديث صحيح : أخرجه الترمذي ، وانظر : « صحيح الجامع » .

(٣) حديث صحيح : أخرجه مسلم .

(٤) حديث صحيح : أخرجه أبو داود ، والطبراني في « المعجم الكبير » ، وانظر « صحيح الجامع » .

وإذا شرب فليشرب بيمينه ؛ فإنَّ الشَّيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله" (١) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "إذا أكل أحدكم طعاما فليقل: بسم الله. فإن نسي في أوله؛ فليقل: بسم الله في أوله وآخره" (٢) .

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "إذا أكل أحدكم طعاما فليقل: اللهم بارك لنا فيه، وأطعمنا خيرا منه. وإذا سقي لبنا فليقل: اللهم بارك لنا فيه، وزدنا منه. فإنه ليس شيء يجزئ من الطعام والشراب إلا اللبن"(٣) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إنَّ الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها" (٤) .

أذكار الصباح والمساء:

وهي أذكار طرفي النهار؛وهي سبب عظيم من أسباب الخير للمسلم؛إذ أنها مشتملة على تحصيناته من الأذى والشرور.

وهذه الأذكار كما ترى، تنقسم إلى قسمين، كل قسم بوقته، فأذكار الصباح محلها ووقتها الصباح، وكذا أذكار المساء، محلها ووقتها المساء، وهذا ظاهر في الأدلة من القرآن الكريم، ومن السُّنَّة المطهرة.

وعليه فوقت أذكار الصباح:هومن بعد صلاة الفجر، إلى ما قبل شروق الشمس.

ووقت أذكار المساء هو: من بعد صلاة العصر، إلى ما قبل الغروب.

وليس معناه أن يظل عاكفًا على الأذكار إلى ما قبل الشروق أو الغروب.

ولكن معناه: أن وقتها ممتد إلى ما قبل الشروق، وإلى ما قبل الغروب.

---

(١) حديث صحيح : أخرجه مسلم .

(٢) حديث صحيح : أخرجه أبو داود ، والترمذي ، والحاكم ، وانظر « صحيح الجامع » .

(٣) حديث صحيح : أخرجه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وانظر « صحيح الجامع » .

(٤) حديث صحيح : أخرجه مسلم .

إذ لو انتهى من الأذكار في وقت غير وقتها الممتد، فله أن ينصرف. والله تعالى أعلم.

أولاً: أذكـــار الصبـــاح:

[١] أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمدٍ ﷺ، وملة أبينا إبراهيم، حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين.

[٢] رضيتُ باللهِ ربًا، وبالإسلامِ دينًا، وبمحمدٍ ﷺ نبيًا. [٣ مرات].

[٣] اللهم إني أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملاً متقبلاً.

[٤] اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور.

[٥] لا إله إلاَّ الله وحده، لا شريك له، له المُلك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

[٦] يا حيُّ يا قيومُ برحمتك أستغيثُ، أصلح لي شأني كُلَّه، ولا تكِلني إلى نفسي طَرْفَةَ عيْنٍ أبدًا.

[٧] اللهم ما أصبح بي من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر.

[٨] آية الكرسي: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

[٩] اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني، وأنا عبدُك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعتُ، أبوءُ لك بنعمتك عليَّ، وأبوءُ بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوبَ إلا أنت.

[١٠] اللهم فاطرَ السمواتِ والأرضِ، عالمَ الغيب والشهادة، رَبَّ كلِّ شيءٍ ومَليكَهُ، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذُ بك من شَرِّ نفسي، وشَرِّ الشيطانِ وشِرْكِه، وأن أقترِفَ على نفسي سوءًا، أو أَجُرَّهُ إلى مسلم.

[١١] أصبحنا، وأصبحَ المُلكُ لله، والحمدُ لله، لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيءٍ قدير، رَبِّ أسألُك خيْرَ ما في هذا اليوم، وخير ما بعدَه، وأعوذ بك من شر ما في هذا اليوم وشر ما بعده، رَبِّ أعوذُ بك من الكسل، وسوءِ الكبر، رَبِّ أعوذُ بك من عذابٍ في النار، وعذابٍ في القبر.

[١٢] اللهم إني أسألُك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألُكَ العفوَ والعافيةَ: في ديني ودنياي، وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يديَّ، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي.

[١٣] بسم الذي لا يَضُرُّ مع اسمهِ شيءٌ في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم. [ثلاث مرات].

[١٤] سبحان الله عددَ خَلْقِه، سبحان الله رِضَا نفسه، سبحان الله زِنَةَ عرشه، سبحان الله مِدَادَ كلماته. [ثلاث مرات].

[١٥] اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي،اللهم عافني في بصري، لا إله إلا أنت. [ثلاث مرات].

[١٦] (سور: الإخلاص، والفلق، والناس) [ثلاث مرات].

[١٧] حسبي اللهُ ، لا إله إلا هو، عليه توكلتُ، وهو رَبُّ العرشِ العظيم. [سبع مرات].

[١٨] اللهم إني أصبحتُ: أُشْهِدُكَ، وأُشْهِدُ حَمَلَةَ عرشكَ، وملائكتَك، وجميع خلقكَ: أنك أنت الله،لا إله إلا أنت،وأن محمداً عبدُك ورسولُك. [أربع مرات].

[١٩] لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملكُ، وله الحمدُ، يُحيي ويُميت، وهو على كلِّ شيءٍ قدير. [عشر مرات].

[٢٠] سبحان الله وبحمده. أو: سبحان الله العظيم وبحمده. [مائة مرة أو أكثر].

[٢١] أستغفر الله. [مائة مرة].

[٢٢] سبحان الله. [مائة مرة أو أكثر].

- الحمدُ لله. [مائة مرة أو أكثر].
- الله أكبر. [مائة مرة أو أكثر].
- لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملكُ، وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قدير. [مائة مرة أو أكثر].

[٢٣] سبحان الله وبحمده، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أنْ لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

ثانيًا: أذكار المساء:

[١] أمسينا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمدٍ ﷺ، وملة أبينا إبراهيم، حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين.

[٢] رضيتُ باللهِ ربًا، وبالإسلامِ دينًا، وبمحمدٍ ﷺ نبيًا. [سبع مرات]

[٣] اللهم بك أمسينا، وبك أصبحنا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك المصير.

[٤] لا إله إلاَّ الله وحده، لا شريك له، له المُلك، وله الحمد،وهو على كل شيء قدير.

[٥] يا حيُّ يا قيومُ برحمتك أستغيثُ، أصلح لي شأني كُلَّه، ولا تكِلني إلى نفسي طَرْفَةَ عيْنٍ أبدًا.

[٦] اللهم ما أصبح بي من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر.

[٧] آية الكرسي: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

[٨] اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني، وأنا عبدُك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعتُ، أبوءُ لك بنعمتك عليَّ، وأبوءُ بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوبَ إلا أنت.

[٩] اللهم فاطرَ السمواتِ والأرضِ، عالمَ الغيب والشهادة، رَبَّ كلِّ شيءٍ ومَليكَهُ، أشهد أن لا إله إلاأنت، أعوذُ بك من شَرِّ نفسي، وشَرِّ الشيطانِ وشِرْكِه، وأن أقترفَ على نفسي سوءًا، أو أَجُرَّهُ إلى مسلم.

[١٠] أمسينا، وأمسى المُلكُ لله، والحمدُ لله ، لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيءٍ قدير، رَبِّ أسألُك خيْرَ ما في هذا اليوم، وخير ما بعدَه، وأعوذ بك من شر ما في هذا اليوم وشر ما بعده، رَبِّ أعوذُ بك من الكسل، وسوءِ الكبر، رَبِّ أعوذُ بك من عذابٍ في النار، وعذابٍ في القبر.

[١١] اللهم إني أسألُك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألُكَ العفوَ والعافيةَ: في ديني ودنياي، وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يديَّ، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي.

[١٢] بسم الله الذي لا يَضُرُّ مع اسمهِ شيءٌ في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم. [ثلاث مرات].

[١٣] أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق. [ثلاث مرات].

[١٤] اللهم عافني في بدني ، اللهم عافني في سمعي ، اللهم عافني في بصري ، لا إله إلا أنت. [ثلاث مرات].

[١٥] اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر ، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت. [ثلاث مرات].

[١٦] (سور: الإخلاص، والفلق، والناس) [ثلاث مرات].

[١٧] حسبي اللهُ ، لا إله إلا هو، عليه توكلتُ، وهو رَبُّ العرشِ العظيم. [سبع مرات].

[١٨] اللهم إني أمسيتُ: أُشْهِدُكَ، وأُشْهِدُ حَمَلَةَ عرشِكَ، وملائكتَك، وجميع خلقِكَ: أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، وأن محمداً عبدُك ورسولُك. [أربع مرات].

[١٩] لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملكُ، وله الحمدُ، يُحيي ويُميت، وهو على كلِّ شيءٍ قدير. [عشر مرات].

[٢٠] سبحان الله وبحمده. أو: سبحان الله العظيم وبحمده. [مائة مرة أو أكثر].

[٢١] أستغفر الله. [مائة مرة].

[٢٢] سبحان الله. [مائة مرة أو أكثر].

- الحمدُ لله . [مائة مرة أو أكثر].
- الله أكبر. [مائة مرة أو أكثر].
- لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملكُ، وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قدير. [مائة مرة أو أكثر].

[٢٣] سبحان الله وبحمده، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أنْ لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

أذكار ختام المجلس:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ؛ إِلا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةً"** (١).

(١) حديث صحيح : أخرجه أبو داود ، والحاكم ، وانظر « صحيح الجامع » .

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: **"مَنْ جَلَسَ في مَجْلِسٍ، فَكَثُرَ فيه لَغَطُهُ؛ فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ منْ مَجْلسه ذَلكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبحَمْدكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ. إِلا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ في مَجْلسه ذَلكَ"** (١).

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النَّبي ﷺ قال: **"ما اجتمع قوم، ثم تفرقوا عن غير ذكر الله، وصلاة على النَّبي ﷺ؛ إلا قاموا عن أنتن من جيفة"** (٢).

(١) حديث صحيح: أخرجه الترمذي، وانظر «صحيح الجامع».

(٢) حديث صحيح: أخرجه الطيالسي، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وانظر «صحيح الجامع».

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فهذا آخر ما تيسر لي بيانه، من الالتزام اليومي للمسلم والمسلمة.

والله تعالى نسأل أن يرزقنا العلمَ النافع، وأن يرزقنا العملَ به، والدعوةَ إليه، وأن يجعله سببًا من أسباب نجاتنا من النار وسوء الدار، وأن يجعله سببًا وطريقًا مُوَصِّلاً إلى رضاه والجنة.

كما نسأله تعالى القَبُولَ والنَّفْعَ، إنه تعالى على ما يشاء قدير.

وسبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

وصَلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وأمته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتبه

أبو سهل

خالد رمضان حسن

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

e.mail:aboosahl@yahoo.com